الدارسون والباحثون التوراتيون لم يتابعوا دراساتهم استناداً الى الاكتشافات التي تقدمها الحفريات والنقوش والآثار الاخرى. (وهي تقدم في العادة معرفة محدودة). بل انطلقوا من عملية البحث «عن بقايا مادية في مناطق معينة، حددت مسبقاً على انها من ارض التوراة. وذلك لتوفير البرهان الأثري لمفاهيم مسبقة للتاريخ التوراتي. وهكذا، عندما يعثر الباحث [منهم] على بقايا تحصينات قديمة قرب بلدة بئر السبع الفلسطينية، يسمي هذه التحصينات بأنها «اسرائيلية»، قبل ان يفكر مرة واحدة في امكانات اخرى» (ص ١٠٥ و ١٠٦). ويورد المؤلف المثالين التاليين للدلالة على صحة ما ذهب اليه.

يقول الاول «في العام ١٨٨٠ عثر على نقش صخري في سلوان قرب القدس، يشرح كيف جرى حفر قناة مائية هناك، عن طريق التنقيب من نهايتي النفق في آن معاً. هذا النقش موجود حالياً في متحف الشرق القديم في استانبول. ولو قال النقش «ان هذا النفق حفر في عهد الملك حزقيا لكان فيه تأكيد واضح لنصّي سفري الملوك الثاني ٢٠ : ٢٠ وسفر اخبار الأيام الثاني ٣٢ . ٣٠، اللذين تحدثا عن بركة وقناة انشأهما الملك حزقيا، ملك يهودا. لكن الواقع ان النقش المذكور لا يشير الى اية اسماء [لا اشخاص ولا امكنة] ولا تجوز نسبته مطلقاً الى عهد حزقيا، كما فعل الباحثون التوارتيون زيفاً» (ص ١٠٧).

ويقول الثاني: ان كل ما يوصف بأنه كتابات عبرية منقوشة في فلسطين - وللدقة فانها نقوش كنعانية - كان قد اجبر، بفعل «علم التوراة» الحديث، على تقديم الاكثر مما يحتويه من معلومات. وفي جملة الامثلة على ذلك، القطع الفخارية المنقوشة التي عثر عليها بجوار نابلس في العام ١٩١٠ وكرست على انها «نقوش السامرة»، على ان اسم السامرة - وهو بالعبرية شمرون - لا يظهر قط عليها. وقد أرخت القطع الفخارية هذه، على انها تعود الى الاعوام ٧٨٧ - ٧٧٠ قبل الميلاد، وهي تحتوي على سجلات لمبادلات تجارية بين اشخاص، ربما كان بعضهم يهوداً، حكماً على ما ورد من اسمائهم الشخصية. ولكن هذه القطع الفخارية لا تذكر حتى اسم مكان واحد. ولا هي تشير، ولا من بعيد، الى اية شخصية او حادثة توراتية (الصفحة نفسها). اضف الى ذلك ان هذه القطع لا تثبت، بأي شكل، ان المكان الذي عثر فيه عليها كان «السامرة» التوراتية، وهو ما يعني انه لا بد من اعادة النظر حتى بالاسم «نقوش السامرة»، الذي اطلقه الباحثون التوراتيون عليها (ص ١٠٨).

ثالثاً: التسميات العبرية وموطنها الاصلي

اذا كانت النقوش والآثار الاخرى التي عثر عليها في فلسطين حتى الآن، لا تقدم دليلاً ساطعاً على صحة انطباق خارطة التوراة على فلسطين او اجزاء منها، فمن اين جاءت التسميات ذات الاصول اللغوية العبرية؟

مثلما فعل الفلسطينيون فعل اليهود «فالاوائل الذين جاءوا الى فلسطين من غرب شبه الجزيرة العربية قبل اليهود، ... اطلقوا على عدد من مستوطناتهم (مثل غزة وعسقلان) [على الساحل الجنوبي لفلسطين] اسماء لاماكن في غرب الجزيرة العربية التي جاءوا منها» (ص ٣٤). وعلى سبيل المثال، ما زالت «القرية الفلسطينية (بيت دجن) - معبد دجن او داجون - قرب يافا، تحمل اسم الاوهم في شبه الجزيرة العربية» (الصفحة نفسها). وفي «شمال فلسطين، اعطى الكنعانيون ايضاً اسماء من غرب شبه الجزيرة العربية لبعض مستوطناتهم، وهي اسماء مثل. صور وصيدون وجبيل وارواد ولبنان» (الصفحة نفسها). وعندما بدأ اسرائيليو شبه الجزيرة العربية (وربما يهود آخرون من غير بني اسرائيل من غرب شبه الجزيرة) بالهجرة باتجاه الشمال للاستيطان في فلسطين كان ما كان زمن الهجرة، اطلقوا بدورهم اسماء من غرب شبه الجزيرة على بعض مستوطناتهم الفلسطينية (وليس كلها بالتأكيد)، او على أوابد دينية محلية استولوا عليها، وعرفوها بأوابد يهودية في غرب شبه الجزيرة العربية، وهي اسماء مثل يهوه، ويروشليم، وبيت لحم، وحبرون... وشمرون وتعريبها «السامرة»، وجرزيم، وعيبل، والكرمل، وربما الجليل (ص ٣٥)، وحرمون، والاردن (هـ - يردن) (ص ٣٦). والظاهرة هذه، مرتبطة بالهجرة في كل زمن، وفي كل انحاء العالم. فالمهاجرون يحنون دائماً الى اوطانهم الاصلية، وكثيراً ما يسمون البلدات والاقاليم والجبال والانهار، وحتى بلداناً او جزراً بكاملها باسماء مألوفة حملوها معهم من مواطنهم القديمة. ولما لم